المؤتمر العالمي السادس
لبديع الزمان سعيد النورسي

العولمة والأخلاق

في ضوء رسائل النور

(البحوث العربية)

ISBN: 975-6438-14-2
Publication: Söz Basım
Year: 2002, İstanbul

أخلاق العولمة في نظر الإسلام
من
منظور رسائل النور للنورسي

الدكتور موسى البسيط(*)

تـــقـــــديـــم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

إذا قُدّر لأساتذة ومفكرين أن يخاطبوا الإنسان ؛ يرصدوا آماله, ويتحسسوا آلامـــه، ويعالجوا علله وأسقامه, فهذا الأستاذ النورسي الذي من خلال رسائله، تخطّـــى المحليـــة والإقليمية، إلى خطاب عالم الإنسان، منطلقا من عالمية الإسلام، الذي ينبـــذ العنصـــرية والقومية والتعصب، ويعتمد العدل والمساواة والرأفة والرحمة وخالص العبودية، متبرئا من الشرك وطغيان الكفر وَصَلَفه، وما يترتب عليه من ظلم، بوضع الشيء في غير موضعه.

إن آخر صرعات الكفر وأشكاله في عالمنا المعاصر، ما يسمى تدليسا (بالعولمة)، التي يرفضها الإنسان، لأنها لا ترعى له كرامة، ولا تُبْقى له على سيادة.

فما العولمة ؟ وما أخلاقها التي تتميز بها ؟ وما بديلها في الإسلام ؟

وهل تتفق العولمة وأخلاق الإسلام ؟ ذلك ما نعرض له من خلال هذا البحث.

والله اسأل أن يهدينا إلى سواء السبيل.

(*) جامعة القدس – فلسطين.

مفهوم العولمة

(العولمة) مصطلح حديث يربط الناس بعالم اللاوطن واللاهوية, ويتبنى أنموذج الحضارة الغربية, بل الأنموذج الأمريكي, سعيا إلى الهيمنة الكاملة, ولعل ذلك قد تبدّى في أجلى صورةٍ في الأحداث المتعاقبة، بعد الحادي عشر من سبتمبر حتى يومنا هذا.

وعُرِفت العولمة، بأنها عمليه تقودها القوى الفاعلةُ المؤثرةُ في النظام العالمي، من اجل ترويج قيمٍ وسلوكياتٍ وسياساتٍ ومفاهيم النموذج الغربي الرأسمالي الليبرالي بأبعاده الثلاثة، سياسية واقتصادٍ وثقافية.

إن العولمة فيها الانتقال من المجال الوطني أو القومي الضيق إلى المجال الكوني، وتخطي الدولة القومية، وصولا إلى العالمية، ومما ساعد على تحقيق ذلك والتسريع به، الثورة التكنولوجية والمعرفية والمعلوماتية، وتخطي الحواجز الجغرافية في الاتصالات، حتى لكأن العالم صار بين يديك وفي ناظرك قرية صغيرة.

إن للعولمة جذورها الضاربة في التاريخ، ولا يقال : إنها وليده هذا العصر، بل إن النزعة العالمية كانت وما زالت منذ القدم تراود أذهان البشر، إلا أن واقع ما نراه اليوم من انتشار ظاهرة العولمة واعتبارها تيارا جارفا، ومذهبا هادفا له رؤاه الاقتصادية والسياسية والثقافية، إنما كان شيوعه والدعوة إليه وتبنيه بعد انتهاء الحرب الباردة .

ولابد من التفريق ابتداء بين "العالمية" من حيث أنها تهدف إلى الخير والنفع والتعاون...، وبين "العولمة" كمفهوم له ارتباطه بالهيمنة وتسلط القوي على الضعيف.

أجل، إن "العولمة" ..... أو قل إن شئت الأمركة، إنما تعني تحقيق عالمية الأمر ولو قسرا من غير تدرّج، وهي حالة تطبيع عالمي لكل ما هو غربي، أو على وجه الأخص أمريكي، وهي الحركة النشطة والحرة والمتسارعة للمقاولات العالمية،

(مالية، وتجارية و معلوماتية)، وهي كما عرّفتها (ندوه العرب والعولمة) تعني :

"سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع والأموال والأفكار بين مختلف الدول على نطاق الكرة الأرضية، ولا يمكن لأحدٍ أن يعزل نفسه خارجاً أو يبتعد عن تأثيراتها"[1].

أخلاق العولمة

إن العولمة تتخطى الحدود والقيود، ولا تعترف بشيء منها، إنها تعني انتقال الآخر إلينا، وعالمية ما عنده، وهي استرقاق كلي تحت غطاء عصري مزيف، وذلك كله يحمل ضياع الهوية الشخصية.

لقد دخلت العولمة كل بيت وكل أسرة، لتصوغ المجتمع وفق عقلية القوي الغالب، ووفق التركيبة الغربية، وأصبح من الحداثة التمسك بالمظاهر الاجتماعية ذات الطابع الغربي، كالحرية الجنسية للمرأة والرجل، وحق المرأة في المعاشرة والإجهاض، الأمر الذي فيه الهدْم للأسرة، ومن ثم للمجتمع المسلم.

إننا شاهدنا (العولمة) في أجلى صورة لها، وخبرنا أخلاقها من غير لبْس أو غموض، إذ ظهرت في الآونة الأخيرة بعد الحرب التي شنتها أمريكا على ما تسميه (الإرهاب)، وهو المصطلح الذي دأبت تطلقه على كل من يخالف رؤيتها وخط سيرها، فكل مَنْ لا يرعوي لهذه القوى وينصاع لعولمتها، إنما هو إرهابي.

العولمة والمصطلح المقلوب !!

حتى إن القيم والمبادئ التي يسعى الإنسان لتحقيقها؛ من حرية، وعدالة ومساواة، وديمقراطية، وسلام، وحقوق إنسان، كلّها مبادئ عظيمة في خدمه الإنسان والحفاظ عليه، غير أنها، وهي تروّج عالميا وتتبناها قوى العولمة، تنزعها من مضمونها، وتجعل لها مضامين أخرى تتفق مع مصالح تلك القوى؛ فما الحرية إلا التحلل من كل القيود الخُلقية والعُرفية والدينية والإنسانية، حتى لكأن الحرية هي التفلّت واستباحة الدماء والأعراض، إنها الشذوذ الجنسي، إنها الزواج الأثني، إنها عدم الاعتراف بمؤسسة الأسرة، ما يجلب مزيدا من الإنحطاط والتردي.

(وحقوق الإنسان) وما أدراك ما حقوق الإنسان، هي حقوق الإنسان الغربي بل حقوق الإنسان الأمريكي بل حقوق الإنسان اليهودي، أما إذا كان مسلما فلا إنسانية له، حلال حرقُه وإبادته وسحقه بالدبابات، وتقطيعه ودفنه في مقابر جماعية، وكل ذلك قد حصل، ووقف العالم يشهد ذلك على شاشات التلفزة في البوسنة وفلسطين.

(وحقوق الإنسان) سلاحٌ تشهره قوى العولمة حين ترغب في ممارسة مزيد من الضغط على حكومة من الحكومات التي تريد منها الانصياع لها، والسير في ركابها، فتعدّ لها لائحة اتهام، بأنها فعلت وفعلت .... وانتهكت حقوق الإنسان ...

(وحقوق الإنسان) هذه تُفَسّرها قوى العولمة حسبما يتفق مع رؤاها السياسية، وحين يعطي الإسلام للمرأة وضعا خاصا يتناسب مع طبيعتها وفطرتها، ويوفيّها حقوقها كاملة فيكرمها، وينزلها المنزلة اللائقة بها ... في ذلك كله هو ينتهك حقوق الإنسان من وجهة نظر العولمة ..

والإسلام حين يُلْزم المرأة بالحجاب، ويمنع من تبذلها واختلائها بالرجال، واختلاطها بهم، الاختلاط المنحل، إذن هو يميز بين الجنسين بما يمس حقوق الإنسان ... في نظر دعاة العولمة.

وبالجملة فحقوق الإنسان تريدها – قوى العولمة المسيطرة – أداةً تخدم مصالحهم، وحين يطلقون حقوق الإنسان فهم يعنون حقوق إنسانهم فقط .

وهذا الإنسان عندما ألْحدَ وقطع علائقه بالسماء، ولم يعترف بالله ربا ومعبودا، نصّب نفسه (الرب)[1]، وهي ظاهره تتكرر في التاريخ البشري، تعرف بظاهرة الفرعونية، وقد برزت في قول فرعون : (أنا ربكم الأعلى)، وأراد بذلك أن يسحق ويمحق ويتجبّر, ونفى أن يكون في الكون رب سواه ومعبود غيره يستحق العبادة، فقال {ما علمت لكم من اله غيري} .

المصطلحات كلها في نظر قوى العولمة، مصطلحات مقلوبة، مفرّغة من مضامينها، ليست هي كما نفهمها، ولكن كما يفهمها الآخر ويفسرها، فالسلام الذي يحقق الهيمنة لقوى العولمة والصهيونية هو السلام الحقيقي!! وليس بسلام ذلك الذي يحقق أدنى معاني الكرامة للإنسان المسلم !

"والعولمة " لها مؤسساتها المتنوعة، التي من خلالها تحقق الهيمنة، اقتصاديا وسياسيا ومعلوماتيا وثقافيا، ولا تزال المؤسسات الثقافية تعمل وتضغط حتى تنزع الهوية الثقافية

---

[1] استقر هذا التوجه في العقلية الغربية منذ أن أفصح " نيتشة " في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) عن عقيدة موت الإله!!

هذه المقولة التي تعبر عن انتقال مصادر المعرفة من الكنيسة إلى الإنسان وتمثل مرحلة الحداثة، لكن الأخطر، أنه وبعد مرحلة الحداثة تبنى الفكر الغربي موت الإنسان وبالتالي أصبحت القيم والأخلاق من النسبي المتغير غير المنضبط إلاّ بالأهواء والشهوات والمصالح والهيمنة، وصولا إلى شريعة الغاب.

للامة، فتنطبع الحياة الثقافية بالصبغة الغربية، بصبغة الأمركة ولا حاجة إلى ممارسة ضغط عسكري ليحقق انسلاخا من الهوية الثقافية .

والعولمة الاقتصادية المعاصرة اتخذت آليات جديدة لفرض هيمنتها الاقتصادية على الشعوب، حيث تبقى هذه الشعوب مشرئبة الأعناق تتطلع إلى قوى العوله الاقتصادية بمؤسساتها تمدها الأخيرة بالغذاء .

وابرز آليات ووسائل العولمة الاقتصادية التي تمارس استرقاقا واستعبادا للشعوب، صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية (الجات)، والشركات المتعدية الجنسية .

وكل ذلك من شأنه التدخل المباشر في سياسات الدول، و الهيمنة على المقدرات، واستباحة التدخل في رسم السياسة الاقتصادية للدولة المقترضة، ومن ثم جرّ هذه الدول إلى التنازل عن مقدساتها ومبادئها.

ولله درّ الأستاذ النورسي حين حذر من الاستسلام لهذه القوى بدافع الإسراف وعدم الاقتصاد، فقال ناصحا :

"إن المقتصد لا يعاني فاقة العائلة وعوزها " وبيّن قيمة الاقتصاد ومخاطر الإسراف فقال: " إن الدلائل كثيرة على أن الاقتصاد سبب جازم لإنزال البركة، وأساس متين للعيش الأفضل الكريم، وإن من لا يقتصد مدعو للسقوط في مهاوي الذلة، ومعرضٌ للانزلاق إلى الاستجداء والهوان .

إن المال الذي يستعمل في الإسراف في زماننا هذا، لهو مال غال وباهظ جدا، حيث تدفع أحيانا الكرامة والشرف، ثمنا ورشوة له، بل قد تُسلب المقدسات ..."[2]

إنها كلمات نفيسة من النورسي حذرت من خطر الاستسلام إلى وسائل العولمة الاقتصادية و أثارها.

طغيان العولمة

أخلاق العولمة أخلاق فرعونية يتجسد فيها الظلم والطغيان والاستعباد واسترقاق الآخر في أوضح صوره، ومردّ ذلك كلّه، الكفر والإلحاد، وقد خاطب النورسي هذا الجانب في العقلية الغربية، والذي ساق البشرية، فآلت إلى ما آلت أليه اليوم فقال :

" يا أوروبا الثانية !

اعلمي جيدا انك أخذت بيمينك الفلسفة المضلّة السقيمة و بشمالك المدنية المضـــرة السفيهة، ثم تدّعين أن سعادة الإنسان بهما، ألا شُلّت يداك .....

أيتها الروح الخبيثة التي تنشر الكفر وتبث الجحود ! تُرى هل يمكن أن يسعد إنسانٌ بمجرّد تملكه ثروة طائلة، وترفّله في زينه ظاهرة خادعة، وهو المصاب في روحه ووجدانه، وفي عقلة وفي قلبه بمصائب هائلة ؟[3]

أجل، إن هذه القوى العالمية قطعت صلتها بالله تعالى، وجحدت، فانعكس ذلك على البشرية وجلبت لها التعاسة .

وتأمل قول النورسي :

" لقد أفسدتِ – أيتها الروحُ الخبيثة – البشريةَ حتى طاشت بتعاليمك، فتقاسي منك العذاب المرير، بإذاقتك إياها عذاب الجحيم في نعيم جنة كاذبة "[4].

علتان و دواءان

إن هذه القوى لا ترى إلا نفسها ولا يعنيها إلا مصالحها، وقد أجاد الأستاذ النورسي حين شخّص بلاء البشرية وأمراضها التي كانت سببا فيما آلت إليه من انحطاط وتردي، وبالتالي اضطرابات خطيرة، وأرْجَعَ كل ذلك البلاء الذي أحدثته قوى العولمة المتنفّذة المؤثرة إلى نقطتين اثنتين هما :

- " إن شبعتُ فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع " .

ولعل اصدق تمثيل لذلك ما نقرؤه من إحصائيات حول التفاوت الكبير، والفجـــوة الواسعة بين الأغنياء والفقراء في العالم.

إن من تأثيرات العولمة ما ظهر لنا بوضوح وجلاء، من أن أشخاصا يملكون ســـلطة عابرة لكل الحدود، وهم أولئك الذين يملكون الثروات الهائلة إذْ إن أغنى أفراد العالم هم حوالي(6) مليون إنسان، ارتفعت ثرواتهم إلى (16) ترليون دولار، وفي العالم (358) ملياردير، ربْحُهم يعادل دخل (45٪) من سكان العالم و(20٪) من كبار أغنياء العالم يقتسمون (80٪) من الإنتاج العالمي[5].

هذا خلل عظيم يصيب البشرية، أحدثته وتُحدثه قوى العولمة في العـــالم في المجـــال الاقتصادي .

والأمر الثاني الذي يردّ الأستاذ النورسي الأمر إليه في انتشار الاضطرابات في البشرية هو:

" اكتسبْ أنتَ لأكل أنا، اتْعب أنتَ لاستريحَ أنا ".

انه الاسترقاق بعينه، أو صورة من صوره المقنّنة، وهو ما تمارسه مؤسسات العولمة الاقتصادية على تنوّعها، فينتهي الأمر بالانصياع لها على مستوى الدول فلا سيادة، وعلى مستوى الأفراد فلا إنسانية ولا كرامة، وهذا الذي نراه من الآليات الاقتصادية التي تسخّر اليد العاملة الرخيصة، تستبعدها ساعات عمل أطول، بأجر زهيد، متجاهلة الحقوق الطبيعية للعامل، لا، بل الحقوق الإنسانية لهذا العامل.

وصدق النورسي فيما قال :

" إن الإنسان كما لا يرضى أن يكون أسيرا لا يرضى أن يكون أجيرا "[6]، أي ذلك الأجير الذي تستعبده قوى العولمة التي تملك الرساميل المتحركة في الأرض من مشرقها إلى مغربها، من غير قيد ولا شرط، والتي تغزو المجتمعات الفقيرة المعدمة، تستغل حاجتها، لتأخذ الإنتاج فتبيعُه بأسعار عالية لإنسان العولمة.

وقل لي بربك أين ذلك في شرعة الإسلام ونظامه ؟؟

إن الأستاذ النورسي – رحمه الله – يشير إلى أن سبب هاتين العلتين إنما يتمثل في فساد النظام الاقتصادي، في إباحة الربا ومنع الزكاة، وعلاج ذلك كله يكمن في، تطبيق الزكاة في المجتمع، وفرضها فرضا عاما، وتحريم الربا.

وأهمية الزكاة في النظام الإسلامي لا تنحصر في أشخاص وجماعات معيّنة فقط، كما يقول النورسي، بل إنها ركنٌ مهمٌ في بناء وسعادة الحياة البشرية ورفاهها جميعا.

"إنها إعطاء الفقير حقَه من غير منّه، وما أنتم إلا مستخلفون مأمورون تقومون بتوزيع مال الله على عباد الله ".[7]

وبخصوص خطر الربا الذي تتخذه "العولمة" طريقا لاستعباد الشعوب، يبيّن النورسي عدالة القرآن، ويشير إلى محاذير شيوع الربا على النحو الذي نراه فيقول :

"إن عدالة القران تقف على باب العالم وتصيح في الربا : ممنوع . لا يحق لك الدخول "، ثم يعقب محذراً ومنذراً "إن البشرية لمّا لم تُصْغ إلى هذا الكلام، تلقت صفعةً قويةً، وعليها أن تصغي إليها قبل أن تتلقى صفعة أقوى و أمّر ".[8]

ويا للأسف هذه اليوم البشرية قاطبة تقع فيما حذر منه النورسي من استرقاق العولمة لشعوب الأرض كلها.

والعلل التي أشار إليها النورسي تُعدّ منطلقا من منطلقات العولمة الاقتصادية، ورسملة العالم في ظل هيمنة النظام الدولي الأُحادي هيمنةً كاملةً، عن طريق الإقراض بفائدة

عالية، واستغلال حاجة الدول والشعوب الفقيرة، ومن ثم ممارسة الضغوط عليها بحيث تتنازل هذه الشعوب – وغالبا ما تكون شعوبا إسلامية – عن مقدساتها وكرامتها وقيمها، وتضطر بالتالي إلى الانضواء في تَحالف يفرضه عليها السيد المتنفذ ! فتكون بعدها موالاة الكافر، ومؤازرته، وتأييده في حرب المسلمين، وتقتيلهم والسيطرة على مقدراتهم، وما اجمل كلام الأستاذ النورسي حين يحذر من التفريط بالمقدرات، والتهاوي في الذلة والمهانة فيقول :

" ... حيث تدفع أحيانا الكرامة والشرق ثمنا ورشوة للمال بل قد تسلب المقدسات".

وفي مثل هذه الظروف يدعو النورسي إلى أن يقتصر المسلم على الحاجات الضرورية، وضرورة الاقتصاد في عيشه، لئلا يلجأ إلى قوى العولمة الاقتصادية، يقول: "فان المقتصد لا يعاني فاقة العائلة وعوزها " ويقول أيضا :

" ولو اقتصر الإنسان على الحاجات الضرورية واختصرها وحصر همّه فيها، فسيجد رزقا يكفل عيشه، من حيث لا يحتسب، وذلك بمنطوق الآية { **إنّ الله هو الرّزاق ذو القوة المتين** } ويقول الله تعالى (**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**) يتعهد بذلك تعهداً قاطعا "[9] .

إن النورسي يعلّم الشعوب المسلمة كيف تقتصد، لئلا تقع في مديونية آليات العولمة، انطلاقا من القناعة، وابتعادا عن الإسراف، فالإسراف يُنْتج الحرْص، والحرص يولد نتائج ثلاثة هي؛ – عدم القناعة – الخيبة والخسران – وإفساد العمل الأخروي[10] ..... .

نهاية العولمة

إن العولمة بجوانبها العديدة لا تحمل إيجابية وخيرا للبشرية قاطبة، وإنما تحمل الحقد والغلّ والعداء[11], والعداء كما يقول الأستاذ النورسي: ظلم شنيع يفسد حياة البشرية في جميع جوانبها، الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هذا العداء الذي تمارسه العولمة للإنسانية هو السم الزعاف للبشرية قاطبة.

فأيّ خير تحمله العولمة للبشرية، حين تستعبدها بسبب حاجتها للغذاء ؟؟!!

أيّ خير تحمله العولمة للبشرية، حين لا تقيم وزنا للكرامة الإنسانية ؟؟

أيّ خير تحمله العولمة للبشرية حين تتسلط على السيادة، فتسلبها سيادتها ؟؟

أيّ خير تحمله العولمة للبشرية حين تعبث في الإنسانية وخصائصها ؟؟

أيّ ظلم وإجحاف تمارسه العولمة على البشرية حين تناصبها العداء .

" إن عداء الإنسان لأخيه الإنسان ظلم في نظر الحقيقة .

فإذا كان عداء الإنسان لأخيه الإنسان ظلم في نظر الحقيقة كما يقول النورسي[12]، فكيف يكون الأمر حين تناصب العولمة بقواها ومتنفذيها العداء للإنسانية كلها ؟.

إن تيارا جارفا، أو حريقاً هائلاً أو زلزالا عنيفاً، يتهدد كيان الإنسانية بأسره إذا استسلمت لهذه العولمة .

والظلم الذي تمارسه قوى العولمة بكافة أشكاله، ينذر بنهاية هذا التيار وزواله، إذ يحمل تيار العولمة بذور فنائه في أحشائه، وهذا ما تنطق به السنن الكونية، والأدلة الشرعية من كتاب رب البريّة، وتأمل معي هذه النصوص الكريمة :

قال تعالى مبينا مصير الظالمين ونهايتهم :-

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا} يونس (13)

وقال: **{فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا}** الحج (45)

وقال: **{وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا}** الكهف (59)

وقال: **{هل يهلك إلا القوم الظالمون}**

وقال: **{وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ}** الأنبياء (11)

وقال: **{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ}** الحج (48)

العولمة والفرعونية

ما أشبه العولمة بقواها المتنفّذة في سائر الجوانب بالفرعونية وطغيانها وأخلاقياتها .

إن قوى العولمة تدّعي مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان والدعوة إلى ضرورة إدخال الإصلاحات على الأنظمة في الكون، وكذلك فعل فرعون حين حمل لواء الإصلاح وزعم الديمقراطية .....

نجدُ فرعون يستشير حلفاءه ومناصريه في قتل موسى فيقول :**{ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ }** غافر (26)

اجل، إنّه حريص على أن لا يُدخل المذاهب الفاسدة المفسدة على حدّ زعمه، المبادئ التي تهدد سلطانه وهيمنته .

ولماذا يريد فرعون قتل موسى؟ انه – أي فرعون – المصلح، الداعية لحقوق الإنسان، والذي يمثل الشرعية الدولية، لا بل الكونية، أما موسى فمخرب، يحمل لواء الإرهـــاب، ولسوف يُظهر في الأرض الفساد !!!

هذا المنطق الفرعوني، المقلوب هو ذاته المنطق الذي تلجأ له قوى العولمة في الأرض.

وباختصار، يمكننا بعد المقارنة بين الفرعونية والعولمة، أن نـــوجز أخـــلاق العولمـــة المعاصرة، وما تمتاز به بصفتين اثنين؛

(الكبر، والكفر) هذه العولمة ترى نفسها اكبر من أي شيء، وما زالت تكبر حـــتى رأت أنها محل الإله الرب .

– وكذا هي كافرة كما أسلفنا من قبل، فلا يؤمن أهلها المتنفذون بيوم الحساب، ولو آمنوا به، لحسبوا حسابه، ولما طغوا وأفسدوا .

إن من أخطر أخلاق العولمة إضافة إلى ما تقدم "الأنانية والحرص"، هما داءان قاتلان، يفتكان بالإنسانية قاطبة، وبالتأمل في ممارسات العولمة البغيضة في شتى المجالات تشخص أمامنا هذه الخصائص والصفات.

ونجد النورسي رحمه الله يحذر من خطرها إذا ما تأصّلت وكان لها تأثيراتها فيقول :

" الحرص أضرّ على الحياة الإنسانية وأدهى " .

" الحرص بذاته سبب الخيبة والخذلان، وداء وبيل ومهانة وذلة، وهو الـــذي يجلـــب الحرمان والدناءة .

والحرص يظهر تأثيرُه السيئ بدءً من أوسع دائرة في عالم الأحياء، وانتهاء إلى أصـــغر فرد فيه"[13].

وما يؤكد عليه النورسي ويكشفه، هو ما حصل ويحصل اليوم على يد قوى العولمـــة من حروب ودمار وإبادة، بدافع الأنانية والحرص فيقول :

" ولكن الذي تمكّن فيه الحرصُ والأنانيةُ، يصبح إنسانا يريدُ القضاء على كل شـــيء يقف دون تحقيق حرصه حتى تدمير العالم والجنس البشري إن استطاع "[14].

ولقد صدق النورسي فيما قال، فما نراه اليوم، أن مصالحَ العولمة تُقَدَّم علـــى حيـــاة الشعوب، فلا قيمة لدمِ الإنسان، ولا قيمة لملايين البشر حتى لو أبيدوا عن بكرة أبيهم، حفاظا على المصَالح الذاتية لقوى العولمة المتنفذة في العالم .

نعم للعالمية لا للعولمة

إن الإسلام دين يحمل صفة العالمية، والفرق بين العولمة بما ينجم عنها من سيطرة وتطبيع عالمي واسترقاق كلي وبين عالمية الإسلام الخيّرة الطاهرة النظيفة ؛

أن "العالمية" صفة أساسية من صفات الإسلام، وخصيصة من خصائصه،

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } سبأ (27) .

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } الأنبياء (107) .

إن العالمية للإسلام جاءت نتيجة لموافقة الإسلام للفطرة، وصلاحيته لحكم الناس، إنها نتيجة إقبال الناس على الإسلام، ودخولهم فيه أفواجا.

وما كانت عالمية الإسلام بإكراه الناس على اعتناقه، فلا إكراه في الدين، وإنما كانت القناعة الإيمانية، حتى إن الإسلام في كثير من بقاع الأرض، ما انتشر بقوة الحسام، وإنما بنور الحجة والبرهان، وبحسْن السلوك والتعامل.

وبالتأمل في جوانب الإسلام، الدين العالمي، نجد عقيدته عقيدة عالمية، لأنها تجسّد الانتماء للخالق الواحد، وهي عقيدة الفطرة التي يتطلع إليها الإنسان بمحض إرادته وحريته.

إنها العقيدة التي تربط الإنسان بالخالق الواحد القهّار، خالق الأكوان، فالكل خلق الله.

ونجد التشريعَ في الإسلام تشريعاً له صفة العالمية، لأنه يتسع لتغيرات الزمان والمكان، ويمتاز بالربانية والثبات والشمول والفطرية، فكيف لا يكون دينا عالميا .

أما العولمة وقوانينها، فلا تخدم إلا أهلها، وتفسر لصالحهم، وترعى مصالحهم .

إن الإسلام بعالميته، لا يُلغي الانتماءات، بل يعتبرها، لكنه يقدم عليها العالمية الخيّرة، ويدعوا إلى الانصهار في بوتقتها وفق مبادئه و أخلاقه،" ليس منا من دعا إلى عصبية " "كلكم لادم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى" فلا تشابه بين العالمية الإسلامية القائمة على أخلاق الإيمان، والعولمة القائمة على الكفر بالديّان .

إن اعظم ملامح عالمية الإسلام، المساواة بين الأجناس كلها، والعدل في التعامل وأقرا قوله تعالى **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** الحجرات (13) .

واستوعب الإسلامُ بعالميته هذه كل انتماء بسماحته عدالته، حتى أقر لأهل الذمة حقوقهم، ومنع من إيذائهم وانتقاص حقوقهم فقال رسول الله عليه السلام

" من آذى ذميا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله " .

وقال " لهم مالنا وعليهم ما علينا " .

ولله درّ الأستاذ النورسي حين يلمح إلى هذه العالمية بدواعيها فيقول :

" إن خالقكما واحد، مالككما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد، وهكذا واحد، واحد، إلى أن تبلغ الألف .

ثم إن نبيكما واحد، ودينكما واحد، وقبلتكما واحدة وهكذا...

ثم إنكما تعيشان معا في قرية واحدة، تحت ظل دولة واحدة، في بلاد واحدة، وهكذا وهكذا ...

فلئن كان هناك إلى هذا القدر من الروابط التي تستدعي الوحدة والتوحيد، والوفاق والاتفاق، والمحبة والاخوة .

ولها من القوة المعنوية ما يربط أجزاء الكون الهائلة، فما اظلم من يُعرض عنها جميعا، ويفضّل عليها أسبابا واهية أوْهن من بيت العنكبوت، تلك التي تولّد الشقاق والنفاق والحقد والعداء، فيوغر صدره عداءً وغلا وحقدا على أخيه ؟

أليس هذا إهانة بتلك الروابط التي توحّد، واستخفافا بتلك الأسباب التي توجب المحبة، واعتسافا لتلك العلاقات التي تفرض الأخوة ؟ "[15]

فلا عنصرية ولا إقليمية ولا قومية، ولا اعتبار للون البشرة أو لعرق من الأعراق، وإنما هو مقياس القرب من الله تعالى، والاشتراك بعلاقة الأخوة في الله تعالى، خالق الإنسان والكون .

لقد نمّى الإسلام في الفرد وفي الجماعة روح التآخي على القيم الإنسانية، تلك القيم النابعة من الإسلام، فأصبحت النزعة العنصرية نزعة مرفوضة في المجتمع المسلم لمنافاتها نصوص الشريعة، مما أضفى على الإسلام بعده العالمي المستوعب للبشرية جمعاء.

إن العالمية في الإسلام تقوم على العدالة القرآنية المحضة، فلا تزر وازرة وزر أخرى، ويحرص الإسلام في تعامله مع الآخر على تحقيق أعلا درجات العدل حتى لو كان خصم الآخر " غير المسلم " هو الخليفة ذاته، ولنا في قصة الحكم بين علي والرجل اليهودي خير مثال على ذلك[16],

واستمع إلى النورسي وهو يظهر هذه الخصيصة في عالمية الإسلام فيقول :

" العدالة القرآنية المحضة، لا تُهدر دم برئ، ولا تزهق حياته، حتى لو كان في ذلك حياة للبشرية جمعاء، فكما أن كليهما في نظر القدرة سواء، فهما في نظر العدالة سواء أيضا ".

الخلاصة

إن البشرية تتطلع إلي الخلاص من هذه العولمة بكل ما تحمله من كفر وكبر وحرص وأنانية وتسلط وهيمنة، إنها تنشد سعادة ورخاء وعدالة ومساواة وإيمانا يخاطب الفطرة ولا يصادمها، يوافقها ولا يعاديها، وذلك كله لا يتحقق ولن يتحقق إلا من خلال الإسلام بمبادئه العظيمة، وهذا ما يتوقعه النورسي حين استشرف المستقبل؛ العالمية بديلا عن العولمة، العدل بديلا عن الظلم .

" إن الإسلام وحده سيكون حاكما على قارات المستقبل حاكما حقيقيا ومعنويا، وإن الذي سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية والأخروية ليس إلا الإسلام، والنصرانية الحقة المنقلبة إلى الإسلام والمتفقة معه والتابعة للقران بعد تحررها من التحريفات والخرافات ".[17]

المراجع

1. مجموعة كليات رسائل النور للأستاذ النورسي .
2. العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة .
3. العولمة، نشأتها، أهدافها، محمد سعيد أبو زعرور، دار البيارق .
4. ما العولمة ؟ حوارات لقرن جديد، حسن حنفي، دار الفكر المعاصر .

الهوامش

1 العولمة ومستقبل العالم الإسلامي , فتحي يكن ص23
2 كليات رسائل النور " اللمعات" (215/3)
3 كليات رسائل النور "اللمعات" 3\177
4 المصدر السابق 5 (3\177)
5 العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص11
6 كليات رسائل النور للنورسي , المكتوبات (2\605)
7 المصدر السابق (2\605)
8 المصدر السابق
9 كليات رسائل النور , اللمعات (3\215)
10 المصدر السابق (3\220)
11 كليات رسائل النور , اللمعات (2\340)
12 كليات رسائل النور, اللمعات (2\349)
13 كليات رسائل النور , اللمعات (2\315)
14 المصدر السابق (2\608)
15 كليات رسائل النور اللمعات(341/2)
16 حين نادى عمر رضي الله عنه اليهودي باسمه, ونادى عليا بكنيته, فغضب على رضي الله عنه لذلك, وأراد من عمر أن يسوي بينهما.
17 كليات رسائل النور " صيقل الإسلام " (8\499)